

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثالثة - العدد الحادى عشر - خريف ١٣٩٢ش / أيلول ٢٠١٣م

ص ٣٠ - ٩

الموازنة بين مكانة المرأة فى منظومتى "ويس ورامين" و "بيجن و منيجه" من منظور النسوية

إسماعيل حاكمى*

راضية زواريان**

الملخص

الولوج فى عالم المرأة النفسى لدراسة شخصيتها وأخلاقها قد حظى دوماً باهتمام العلماء والأدباء، والتعرف على مكانة المرأة فيما يتعلّق بتطوّر الإنسان بحاجة ماسة إلى دراسات شاملة تكشف عن الإبهامات التى تسبّب إصدار أحكام متسرّعة عن المرأة والتشهير بها على أنّها "المجرمة الأزلية".

ولقد واجهنا فى إيراننا القديمة نساءً محنّكات لم يخضعن للإهانة والحقارة قطّ، بل شاهدنا من جانب البعض ردود أفعال عنيفة، بحيث أحدثت زلزالاً فى المبادئ السياسية والثقافية والاجتماعية المقرّرة.

والغرض من هذه البحث هو التعريف بالوجه الحقيقى للمرأة التى وقفت بعزمها الراسخ أمام المصير الذى قرّره الآخرون لها، والدراسة بدأت باستعراض شخصية المرأة الأصيلة فى منظومتى "ويس ورامين" لفخرالدين أسعد الجرجانى و"بيجن و منيجه" للفردوسى، ثمّ انتقلت إلى تبين مكانة المرأة فى هاتين المنظومتين من منظور النسوية بالتأكيد على عنصر الزمان الذى يتعلّق بالعصر الأثكانى.

الكلمات الدليلية: مكانة المرأة، إيران القديمة، ويس، منيجه، القدر، النسوية.

*. أستاذ بجامعة طهران، إيران.

** خريجة مرحلة الدكتوراه بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بطهران، إيران.

dr.zavarian@gmail.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. عبدالحميد أحمدى

تاريخ القبول: ١٣٩٢/٢/١١

تاريخ الوصول: ١٣٩١/٣/٢

المقدمة

ما زالت المرأة في ساحة عالمنا الرحبية تعتبر امرأة مهیضة الجناح فقط، ولا تزال تحمل على عاتقها آلاماً كثيرة، وإن مضت على نشأتها على الأرض ملايين السنين، ولكنها استطاعت رغم المشاكل المتعددة أن تظهر الدرّ المكنون من وجودها الحقيقي. وهناك في الأزمنة القديمة دراسات للبحث عن مكانة المرأة وحياتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بحيث توفّر لنا معلومات نافعة عنها، ومنها أنّ المقارنة بين المشهورين من النساء والرجال في تاريخ إيران القديمة تشير إلى أن عدد النساء الشهيرات أقلّ من الرجال المشهورين بكثير، وأنّ مردّ ذلك الكم القليل ليس إلاّ لشهرة آبائهنّ أو إخوانهنّ أو أزواجهنّ.

وعلى حسب رأى المؤرخين، فالنساء اللاتي شاركن في الحرب أو السياسة وتمكّن من الوصول إلى منصّة الحكم أو القيادة أثرن في التاريخ تأثيراً لا مثيل له. والولوج في عالم النساء من القضايا المعقّدة جدّاً وله تاريخ يصل مداه إلى التاريخ البشري، ولكن هناك في إيران القديمة نساء مثقفات مجربات أثرن في تقدّم المجتمع الإنساني بقدراتهنّ البالغة وذكائهنّ المثالي، بحيث وظّفن قدراتهنّ لصدّ ما تعرّض له المرأة من إهانة وتحقير.

تعتبر "ويس" و"منيجه" في منظومتى "ويس ورامين" و"بيجن ومنيجه" نموذجين من هؤلاء النساء.

وقفت "ويس" أمام المصير الذي قدره لها المجتمع الذي يتحكّم فيه الرجال، ولكنها قرّرت لنفسها مصيراً آخر بإصرارها وعزمها، فانتصرت ظافرة، كما اختارت "منيجه"، بشجاعته البطولية وعزمها الراسخ، زوجاً لنفسها على خلاف تقاليد مجتمعه، إنها ثابرت حتى الموت لذلك الاختيار ولذلك العشق الصادق فواصلت حياتها فخورة.

مكانة المرأة في منظومة "ويس ورامين"

منظومة "ويس ورامين" أثر من الآثار الباقية لقصة إيرانية قديمة قام بنظمها فخرالدين أسعد الجرجاني الذي يعتبر واحداً من كبار القصّاصين الإيرانيين الذي

عاش في القرن الخامس للهجرة.

يعود تأريخ هذه القصة إلى الأزمنة التي كان يسيطر عليها النظام الإقطاعي في العهد الأشكاني، وقد قام فخر الدين أسعد الجرجاني بنظمها، وكانت في الأصل باللغة الفهلوية، والأرجح أنها تتعلق بمرحلة تولّت على الحكم فروع من سلالة "گودرزبان" و"قارنيان"، وأسرة "ماه" أو أسرة "قارني"، الأسرة التي تنسب إليها "ويس"، إنها تعتبر إحدى الأسر الأشرافية السبع في العهد الأشكاني. وقد وقعت الحوادث في مملكة كبيرة تقع في الشرق، في مدينة "مرو" دون أن يكون لها أية مركزية.

وكانت للنساء مكانة مرموقة في إيران القديمة فقد تمّ الحصول على الكثير من التطورات الاقتصادية بيد هؤلاء، وكذلك لم يكنّ بمعزل عن عالم السياسة والحكم والعلم، بل كان هنّ تأثير في أهمّ الحوادث الوطنية عن بصيرة نافذة وبقظة كاملة، بحيث قمن بالدفاع عن مطالبهن المشروعة.

وأما في العهد البارتي فضعفت مكانة المرأة، وفرضت عليها قيود، كما يشير بعض المستترفين إلى هذه الظاهرة قائلاً: إن مكانة المرأة في العهد البارتي أقلّ من مكانتها في العهدين البارسي والمادي، بحيث كانت المرأة في العهد الأشكاني وسيلة في يد الرجال للوصول إلى الأهداف السياسية، كما كانت للكثير من الزوجات نزعة سياسية، وكان الغرض الرئيسي إيجاد التعامل بين القدرات السياسية السائدة على المناطق المختلفة. والواضح أن الشئ الوحيد الذي لايهتمّ به أبداً نظام المجتمع الذي يتحكّم به الرجال هو مصير المرأة، ومن هذا المنطلق فالمحظورات التي واجهتها قصة "ويس ورامين" ناتجة عن المطالبة بحقوق النساء الطبيعية، الحقوق التي لم يوافق عليها قطّ ذلك المجتمع الذي لا يرى حرية التفكير واختيار العمل إلّا للرجال.

وأما "ويس"، الشخصية المحورية، والتي تتعلق بها شخصيات الآخرين، فتقف أمام ذلك المجتمع وتطالب بحريّتها فتحوز عليها، لأنّ «الحرية المطلقة كانت تتعلق بالرجال فحسب، وفي تلك المعادلات يحظى الرجل بالملذّات والشهرة وليس للمرأة حظّ إلّا تحمل المشاق واللؤم والعتاب. فالمرأة على أساس هذه المعايير الجافة تعتبر لعبة ولاغير، ومن هذا المنطلق فليست "ويس" إلّا زوجة للملك "موبد" المعمر، وعشيقة لـ"رامين"

الشاب، فلا قيمة لنفسها، لأن الأقدار أرادت أن تجري الأمور كما هي في الحال.»
(مزداپور، ١٣٨٢ ش: ١٤١)

”ويس“ هي المرأة التي قرّرت لها الأقدار مصيرها قبل ميلادها واختارت لها نوع العمل التي يجب أن تقوم به، ورسمت لها سلوكها في الحياة «وهذه هي الحال التي تسبب خضوع قسم من أفراد المجتمع لارتكاب الجرائم، الجرائم التي تشبه اللعنة المشؤومة والتي قرّرها المجتمع لهم قبل ولادتهم، حتى ولو أنهم قاوموها في بداية الأمر مقاومة عابثة كما فعلتها ”ويس“.» (المصدر نفسه: ٨)

ولإبعاد النساء عن ساحة المجتمع والحطّ من قدراتهن، عادة ما يقوم الرجال بقمع النساء وتحقيرهن، وإشعارهن بأن وجود النساء هو ما يسبب الأخطاء والجرائم والإفساد في الأرض، وبدا ذلك في قصة ”ويس ورامين“ حيث يحاول المجتمع الرجالي تقييد المرأة بقضاياها الجنسية وإلزامها بها لإبعادها عن الاستقلال الفكري والحرية، كما طلبوا منها الامتثال والطاعة والانقياد، بحيث اعتبروها قيماً أخلاقية معتقدين أنّ المرأة إذا أرادت أن تكون محبوبه لدى الرجل فلا بدّ أن تكون مطيعة، وضعيفة، ومحتاجة إليه، كما ورد في المنظومة:

دو كيهان گم كنند از بهر يك كام چو كام آيد نجويند از خرد نام
زنان را گرچه باشد گونه گون چار ز مردان لابه بيذيرند و گفتار
شكار مرد باشد زن به هر سان بگيرد مرد او را سخت آسان

- تُضيع النساء الكونين لأجل الشهوة وعند الحصول على الملذّات لا يهتمن بالعقل.
- مع أن للنساء حيلاً مختلفة ولكنهنّ يسمعن حديث الرجال ويجنّ دعوتهم وتضرعهم.
- على أية حال، فالمرأة تعتبر فريسة الرجال، فيحصل عليها الرجل بكل سهولة.
وكذلك يعتبر الرجال المرأة الحرة المفكرة مرأة وقيحة ناقصة العقل:

چه نيكو گفتموبد پيش هوشنگ زنان را آيزيش از شرم و فرهنگ
زنان در آفرينش ناتماند ازيرا خويش كام و زشت نامند

- أظهر ”الموبد“ رأيه عند ”هوشنگ“ بأحسن صورة قائلاً: إن حرص النساء أكثر من

الحياء والتقاليد السائدة على المجتمع.

- إن النساء ضعيفات في الخلق ولأجل ذلك الضعف يببشن عن الملدّات وهنّ سمعة سيّئة.

كما ورد في مكان آخر للمنظومة دلالة على خلو النساء من الشفقة:
مبادا كس كه از زن مهر جويد كه از شوره بيبان گل نرويد
بود مهر زنان همچون دم خر نگرده آن ز پيمودن فزون تر

- حذار أن تطلب المحبة من المرأة، لأن الورد لا ينبت من السبخة.

- فمحنة النساء كذب الحمار لا يصبح طويلا إثر طى الطريق.

ودليل آخر على دناءة مكانة المرأة هو إظهار كراهية الرجال منها، وميلهم إلى الابتعاد عنها في أيام الحيض، لأن الرجال يعتبرونه نفثة شيطانية تدنو من المرأة لعدة أيام في كل شهر وتلوّثها، بحيث يعتقد الرجال أن الابتعاد عن المرأة في تلك الأيام المعدودة أمر واجب، فكانوا يذهبون بها إلى خارج المدينة. كما ورد في المنظومة:

زن مغ چون بدین کردار باشد به صحبت مرد از او بيزار باشد
وگر زن حال از او دارد نهانی بر او گردد حرام جاودانی

- إذا كانت المرأة على هذه الحالة يشمئز الرجل من أن يتحدث معها وإن كانت

زوجة لرجل الدين.

- وإن لم تخبر الزوجة زوجها عن تلك الحالة تحرم عليه إلى الأبد.

وهذا الأمر يعود إلى المبادئ الزرادشتية التي تقوم بنيتها الفكرية على أساس شيطنة المرأة وحقارتها والتفاخر بوجود الرجل.

وفي منظومة "ويس ورامين" يخاطب الملك "مويد" "ويرو" قائلاً:

همی تا در شبستان و سرائی هنرهای یلان نیکو نمائی
چو در میدان شوی باهم نبردان گریزی چون زنان از پیش مردان

- مادمت في حرم المسجد أو في البيت تقوم بإظهار فنون الأبطال بأحسن صورة.

- ولكن عندما تخوض المعارك وتلتقي بالأبطال تفرّ منهم كما تفرّ النساء من أمام

الرجال.

والذي يأمر ويحكم في هذه المجموعة هو الزوج، والسائد والقائد هو الرجل

وإرادته، وحكمه مطاع، ولكن للمرأة خصائص أخرى كما يعبر الشاعر في "ويس ورامين" عنها وعن الكيفيات النفسانية المختصة بالنساء قائلاً:

زنان نازك دلند و سست رأيند به هر نحو چون برآريشان برآيند
 زنان گفتار مردان راست دارند به گفت خوش تن ايشان راسپارند
 زن ارچه خسرواست ار پادشاهی وگر خود زاهد است ار پارسايی
 بدین گفتار شیرين رام گردد نينديشد كزان بد نام گردد

- النساء رقيقات القلوب وضعيفات الآراء فيترعرعن على أية سجية يترين عليها.

- يعتقد النساء بأن الرجال صادقون في كلامهم فيخضعن لما يفوهون به من حلو

الحديث.

- إن تكن مليكة، أو سلطانة، وإن تكن زاهدة، أو عابدة.

- فإنها تخضع للكلام الحلو ولا تفكر أبداً في سوء الشهرة.

كما نرى هذه الحالة عند "ويس"، إنها تلك المرأة التي تلتزم بالعفة وتمتاز بحسن السمعة، بحيث تبحث عن الجئة الخالدة ولكنها تترك العيب والعار إلى جانب والسمعة والشهرة إلى جانب آخر وتدع الدنيا برمتها لعشق حبيبها "رامين".

ومن مطالب المجتمع الذي يسيطر عليه الرجال أن لا تحب المرأة نفسها أبداً، بل لا بد لها أن تفدى الرجل بروحها ودمها، وتضحى بنفسها، كما نرى هذه الحالة عند "ويس"، إنها قامت بالتضحية حتى بلغت ذروة الفداء واشترت العار والفضيحة بثمن غال.

ربما انقياد "ويس" الكامل تجاه عشق "رامين" يدل على أنها تنوى نكاح "موبد" وأذاه، لأنه الرجل الذي قتل أباه وأخرجها من مسقط رأسها كرهاً وفصلها من زوجها "ويرو".

ليست "ويس" امرأة عاهرة فاسقة، بل إنها ملتزمة بعشق "رامين" حتى نهاية عمرها، كما قامت بتضحية نفسها لأجله في مجتمع أحاطه الانحطاط والفساد بسبب وجود النساء الروميات والإغريقيات، كما تعبر عنه "دايه" قائلة:

زنان مهتران و نامدارن بزرگان جهان و كامكاران
 اگرچه شوی نامبردار دارند نهانی دیگری را یار دارند

- زوجات الزعماء والمشهورين من الرجال وأصحاب الحظوظ وزوجات كبار العالم.

- وإن كان لهنّ حليل شهير إلا أنّ لهنّ في الحفاء خليلاً آخر.
كانت "ويس" وقيّة "لرامين" جدّاً رغم أنه لم يكن وقيّاً لها؛ فهي امرأة مثالية تريد أن تعيش وتستمتع بحياتها.

فطبيعة "ويس" الساخنة ومعنوياتها الرفيعة لا تسمح لها أن تستسلم لكلّ ما يحدث من أطرافها، بل نرى ميلها إلى حرية الاختيار منذ طفولتها، ولهذا السبب تختلف مع "دايه" في اختيار ثوب من الثياب وهي طفلة صغيرة، كما تقول "دايه":
همى نپسندد اکتون آنچه ماراست وگرچه گونه گون خز وديباست

- إنها لا يعجبها الثوب الذى اخترناه لها وإن كان من أنواع الخرزّ والديباج.
إن "ويس" ابنة الملك ولها عزمها، فتبحث عمّا تتمنّاه، وإنها ليست من النساء اللاتى يتّخذن مواقف انفعالية تجاه الحوادث والكوارث، ولا تضحى بنفسها لمطالب الآخرين، بل إنها تنثور ضدّ الظلم الذى تواجهه، وتدافع عن حقّها وتلجّ على مطالبها عاشقة دون أن تخاف أحداً؛ إنها لا تزال تعيش فى عالم التناقض بين العشق والغرور، وهناك مشاهد كثيرة تدلّ على غرورها، ومن أجملها هو المشهد الذى يعود فيه "رامين" من عند "گل" لزيارة "ويس" ولكنها تطرده وترفض اعتذاره، وهناك مشاهد أخرى تصوّر لنا مواصلة الغنج والدلال بينهما، بحيث يتنفّس الصباح دون أن ينتبها:

چو بام آمد سخنها گشت کوتاه دل گمراهشان آمد سوى راه
همان گه دست یکدیگر گرفتند ز بیم دشمنان در کوشک رفتند

- عند الصباح قلت الأقوال واهتدت قلوبهما التائهة.

- فآنذاک أخذ الواحد منهما بيد الآخر ودخلا القصر خوفاً من الأعداء.

تظهر تجلّيات عشق "ويس" الصادق بكاملها فى المنظومة، بحيث إنها تلتزم بعهدتها من الآونة التى عشقت "رامين" حتى نهاية عمرها؛ كانت تتألم ولكنها تبتهج؛ إنها تربى نفسها فى ظلّ "رامين" وعشقه وهذا هو الذى أمكنها أن تعيش مائة سنة، لأنها تعرف الهوى وفنّ العيش أكثر ممّا يعرفه "رامين".

شهرو

ومن النساء الشهيرات التي لعبت دوراً مهماً في منظومة "ويس ورامين" هي "شهرو"، أم "ويس"، إنها امرأة عريقة ونبيلة تنتهي سلالتها إلى "جمشيد"، الملك الأسطوري، إنها جميلة في غاية الجمال ومجربة محنكة في الأمور، بحيث تسمى "شهربانو" أى خاتون المدينة، و"ماه بانو" أى قمر النساء؛ وهذا هو السبب الذى أدى إلى تسمية "ويرو"، زوج "ويس"، بالملك والأمير احتراماً لـ"شهرو"، أم ويس، كما كان أبوها "قارن" يُسمى "شوى شهرو" أى زوج شهرو. وهذا كله يدل على عظمة شخصية "شهرو".

شخصية "شهرو" ومكانتها في منظومة "ويس ورامين" تدل على المكانة المرموقة لبعض النساء بين الطبقات الأشرافية في العهد البارتى، كما تدل على أنهن لم يكن بعيدات عن المجتمع بل يحضرن فى المراسيم و المهرجانات مع الرجال جنباً إلى جنب، كما ورد فى المنظومة:

كه بود در اين زمانه شهريارى به شاهى كامكارى بختيارى
همه ساله به جشن اندر نشستى جويك ساعت دلش برغم نحستى
زهر شهري سپهدارى و شاهى زهر مرزى پرى رويى و ماهى

- كان فى الدهر ملك، إنه كان سعيداً جداً بهذا الملك و كان الحظّ حليفه دائماً.
- وكان يقيم حفلة فى كل سنة، لأنه ما كان يطيق الغمّ والهّم ولو للحظة واحدة.
- وفى تلك الحفلة كان يشارك من كلّ مدينة قائد وملك، كما كانت تشارك فيها من كل بلد حسناء جميلة كالقمر.

كانت "شهرو" واحدة من هؤلاء النساء، بل إنها كانت تفوق جميعهن، ويذكر اسمها قبل أسمائهن. إنها كانت سيّدة النساء، وكانت الأمور تجري بيدها، وتمتلك قدرة هائلة، بحيث قامت بتزويج طفلة للملك "موبد" قبل ولادتها ودون إذن أبيها على خلاف الطقوس الزرادشتية، ثم زوجها لأخيه دون أن تستأذن "موبد" أو يشعر "موبد" بهذا الأمر، وبعد أن أدرك الملك "موبد" الأمر أجبرته على المرافقة والمدارة.

فهذا كان «ها وجه سلبى فى المنظومة إلى حد ما، لأنها خطبت ابنة غير مولودة لرجل، ثم زوجتها لرجل آخر، وفضلاً عن ذلك أنها نكحت عهدها عندما فتحت باب

القلعة أمام الأعداء، وسلّمت ابنتها للملك "مويد"، بحيث أريقت الدماء لامتلاك ابنتها "ويس"، ومنها إراقه دم كان لـ "ويرو"، زوج "ويس" الأوّل. فهي لم تكن حسنة السمعة من الناحية الأخلاقية.» (خاتون آبادى، ١٣٧٦ ش: ٦٦٧)

وفي إيران القديمة كانت الأمهات تختار النسب عندما كانت السيادة للأم، وعلامة أخرى من علامات المجتمع الذى تتحكّم فيه النساء هى اختيارها للزوج، كما نلاحظ هذه الظاهرة فى منظومة "ويس ورامين" عند "شهره" فى اختيارها أزواجا متعددة، وهذه دلالة على خصائص المجتمع الذى يسود فيه نظام الأمومة أو سلطة الأم. وهذه الظاهرة تسهّل تبرير سوء سمعة "شهره" لاختيارها عددا كثيرا من الأزواج وإنجابها منهم أولادا عدة، كما ورد فى المنظومة:

بچه بوده است شهره و راسى و اند نزاده است اوزيك شوهرد و فرزند
يكايك را ز ناشايست زاده به دايه دايجانى شير داده

- كان لـ "شهره" بضعة وثلاثون ولداً، ولم تلد لكل زوج أكثر من واحد.
- وقد ولدت جميعهم بصورة غير شرعية، وكلفت الريبة إرضاعهم.
كانت للأمهات قدرات وافرة، بحيث يتدخلن فى زواج البنات، ويُعيّن مقدار الصداق، كما أشار إلى ذلك "رامين" فى حديثه مع "گل":

چه نامى و زكدامين جايجاهى مرا خواهى به جفتى يا نخواهى
اگر با تو كسى پيوند جويد از او مادرت كاوين چند جويد

- ما اسمك وما مكانتك، أتقبلين أن أكون زوجك أم ترفضين زواجي؟
- إذا أراد أحد الزواج منك فكم تأخذ أمك منه الصداق؟
وجدير بالذكر أن حدود تدخل الوالدين فى زواج البنت كانت تنتمى إلى الثقافة والطبقة الاجتماعية التى تعلقت بها تلك الأسرة، ولكنها عادة كانت تسلب من البنت حق الاختيار.

دايه

هناك امرأة أخرى فى هذه القصة تسمّى "دايه"، حيث أدت دورا مهماً فى إيصال

العشاق إلى الحبِّ والغرام. إنها ذكية في غاية الذكاء، ولها خبرة وعندها معلومات وافرة عن الحيل النسائية، إنها ليست من عامّة الناس ولا أمية، بل لها معلومات عن الكيفيات الروحية والنفسية التي يعيشها البشر، كما عندها معلومات عن طبيعة الإنسان. ولا بدّ أن تمتلك خصائص كهذه حتى تصلح لتربية أطفال الشرفاء من الناس وعظمائهم المودعين عندها.

إنها ثريّة جدّاً وخبيرة في تكاليف الأممه أحسن ممّا تعرفه "شهره". وكانت "دايه" تلعب دوراً وسيطاً لحلّ المشاكل في أيام المغازلة بين "ويس" و"رامين" في حالة كانت هي نفسها طالبة للملذّات.

كل

"كل"، ابنة "رفيدا"، تعتبر من النساء اللاتي لعبت دوراً محدوداً في القصة، وهي التي اتخذها "رامين" زوجة له في منطقة "گوراب"، وهي من النساء اللاتي تعيش في ظلّ شهرة أبيها. ولها شخصية منفعة وساكنة، إنها في بداية أمرها خضعت لمطالب "رامين" الغرامية، ثمّ واجهت جفائه وفراقه دون أن تحتج عليه، وكأنها لاقيمة لها إلا بحبّ "رامين" لها، وبعد أن ملّها "رامين" وانشغل بحبّ "ويس"، ولم يكن يهتمّ بهمومها ولا بغضبها وقلقها، فحينئذ خضعت للأقدار المحتومة واستسلمت للموم. ومن هذا المنطق نرى مكانتها الضعيفة مقارنة بمكانة "ويس" الرفيعة.

مكانة المرأة في منظومة "بيجن ومنيجه"

في البحث عن مكانة المرأة في "الشاهنامه" من وجهة نظر الفردوسي، عرفنا أنّ للنساء مكانة تكاد تكون مرموقة، وللنساء اللاتي قمن بالمشاركة في النشاطات السياسية شهرة واسعة وقدرة عظيمة، كما نرى هذه الظاهرة في قصة "بيجن ومنيجه" وهي أنّ "منيجه" قبل أن يتعرف "بيجن" عليها لم يكن اسمها مذكوراً في القصة، ولكن بعد أن تعرّف عليها تردّد ذكرها وأصبحت مشهورة، ولكن النساء اللاتي لم تكن لهنّ علاقة بالحكومة أو السياسة أو تأثير في أركان الحكم لم يشتهرن أبداً؛ فلهذا نرى "منيجه" عند التقائها ببيجن لأول مرة تقوم بتعريف نفسها له قائلة: "أنا منيجة بنت أفراسياب" وبهذه

العبارة تشير إلى أصلها ونسبها الذى ينتهى إلى أبيها "أفراسياب" الشهير. وظاهرة أخرى نراها فى قصة "بيجن ومنيجه" هى حرّية التفكير والعمل إلى حد تعطى للبت فرصة تمكّنها من اختيار شريك حياتها، فهى لا تشعر بأى قلق وإن قامت الأسرة بطردها، لأنها تشقّ مشوارها فى الحياة عن بصيرة وبكلّ حرّية، دون أن يجبرها أحد على العمل ويقرر لها مصيراً محتوماً.

ومع هذا كلّه، فوجهة نظر "أفراسياب"، ملك توران، عن بنته "منيجه" جديرة بالاهتمام، لأنّها شغفت بحب بطل إيرانى، فى زمن كانت العداوة قائمة بين إيران وتوران، فيوجّه الأب كلمات ساخنة ولادغة إلى ابنته قائلاً:

به دست از مژه خون مژگان برفت برآشفت و این داستان بازگفت
کرا در پس پرده دختر بود اگر تاج دارد بد اختر بود

- فثارت ثورته وقصّ قصته ودمعه الدامى ينزف من أهداب عينه قائلاً:

- من كانت له ابنة فى الخفى فهو سىء الحظّ ولو كان ملكاً.

فمن الطبيعى أن لا نتوقع من هذا الأب إلا الغضب والحشونة حيث يقول:
از این کار ناپاک زن هشیوار با من یکى رای زن

أيها العاقل الذكى! شاورنى فى أمر هذه هذه المرأة المتهمّة.

يجب علينا أن نتنبه بأنّ نظرة "أفراسياب" متعلقة بـ"توران"، فهى لا تمثل النظرة الإيرانية للمرأة، وكذلك نواجه مثل هذه الرؤية السلبية تجاه المرأة فى موضع آخر من القصة ولاسيما فى الجزء الذى يتحدث عن "منيجه"، وهو الجزء الأكثر حزناً فى "الشاهنامه"، حيث يطلب "بيجن" من "منيجه" أن تقسم بأن تكتم أسرارها. وقد عزّ على "منيجه" كلام "بيجن" والميثاق الذى أخذه منها، بحيث أصبح العالم فى عينها أكثر ظلاماً من ظلمة بئر سُجِنَ فيها "بيجن".

شعرت "منيجه" بأنّها تبدلت إلى شخصية أخرى، شخصية عاشقة باكية اشمازّ منها الأب والأهل وأعرضوا عنها، إنها حافية راکضة إلى كلّ منتدى، فاقدة الكنز والجوهر والتاج، بعيدة عن المال والجاه والشهرة، يأسه من "بيجن" ووصاله فيعز عليها أن تسمع: كنون گر وفای مرا نشکنى به سوگند با من تو پیمان کنى

بگویم ترا سر بسر داستان چو باشی به سوگند هم داستان
که گر لب بدوزی زبهر گزند زنان را زبان کم بماند به بند

- إذا لم تُنْقِضِ عَهْدِي، وتعاهديني مقسمة.

- سأحكي لك قصصا وحكايات، شريطة أن تبادليني المشاعر وفاءً بعهديك.

- وأن تكوني كاتمة لسرى خوفاً من أن يلحق بي ضرر، علماً بأن عدد النساء اللاتي

يكنمن الأسرار قليل جداً.

ولا تستحق امرأة كـ"منيجه" أن تُعامل بمثل ما عاملها "بيجن" الذي يدين بجياته لها، حيث أنقذته من البئر الضيقة المظلمة التي سجن فيها، فلم يكن نصيبها من "بيجن" إلا التشرّد وحياة الخفة والعار. وربما هذا هو السبب الذي دعا "بيجن" كي لا يتأخر عن تقديم اعتذاره إليها.» (دبير سياقي، ١٣٦٥ش: ٦٩ و٧١)

ورغم ذلك وبعد أن تعرفت "منيجه" على "رستم" أسرعت إلى إطلاق سراح "بيجن" بمساعدة البطل العالمي، "رستم"، ناسية آلامها وهمومها وبعد إنقاذه من السجن تركت بلادها ومسقط رأسها ورافقت "بيجن" و"رستم" متوجهة إلى إيران بكامل اختيارها. إنها عاشت في إيران حياة طيبة كريمة بحيث حظيت باحترام "كي خسرو" والآخريين واحتلت مكانة مرموقة تعادل مكانة المرأة الإيرانية بحيث يوصى "كي خسرو"، "بيجن" برعاية حقوق "منيجه" والاحترام لها.

دراسة شخصية "ويس" في منظومة "ويس ورامين"

"ويس" أو "ويسة" هي الشخصية الرئيسية في المنظومة وتنتهي إليها شخصية الآخرين. إنها بنت "شهره" و"قارن" وملكة "ماه آباد"، لها شخصية فريدة بين النساء في الشعر الفارسي، «إنها مخطوبة عند ميلادها وبعد أن بلغت رشدها تزوجت بأخيها، ثم اختطفها بعد سنوات ملك معمر، وأصبحت زوجته، ثم عشقت أخا زوجها ووقعت في حبه لعدة سنوات دون أي خوف وخجل، ثم قامت بتحريضه للقيام على زوجها الشرعي وحكومته، وبعد أن زالت دولة زوجها تزوجت بعشيقها وعاشت مائة سنة بكاملها.»

(مجملة چيستا: ٦٦٥)

للدكتور إسلامي ندوشن رأى عن "ويس" أورده في كتابه "جام جهان بين" قائلاً: «إنها امرأة مخلصه وعفيفة، ولا يدفعها الاستياء أن تنورط في الهوة، وربما استسلامها لـ"رامين" هو نوع من الانتقام من رجل فصلها من زوجها المحبوب، "ويرو"، وقتل أباهَا واختطفها من مسقط رأسها.»

«ليست "ويس" من أهل الكيد في أفعالها، لأنها بعد اتصالها بـ"رامين" ضحّت من أجله بدينها وديناها مخلصه له الحبّ، وجدير بالذكر بأنها طردت "دايه" ما إن أخبرتها بحبّ "رامين" لها، وسمّتها القبيحة، والوقيحة، رغم أنها كانت محرومة من حبّ زوجها الاثنين من قبل، لأنها مكبله بمجل التقوى والعفاف ورجيلها مشدودتان به، وهى سيّدة عفيفة تخاف من الفضيحة والذنب والجحيم وغضب الله تعالى من جانب، ومن جانب آخر قد أخافها مصيرها الأليم من زواج جديد، فلذلك تقوم بمعاتبة "دايه" قائلة:

هم از ويرو هم از من شرم بادت كه از ما سوى رامين گشت يادت
مرا شوخى و بى شرمى مياموز كه بى شرمى زنان را بدكند روز.»

(محبوب، ١٣٧٧ش: ٧٧ و ٧٨)

"يا قليلة الحياء" اخجلى منى ومن "ويرو" فى حديثك معى عن حب "رامين"! لا تعلمينى المزاح وعدم الحياء، لأن قلة الحياء تشوّه سمعة المرأة يوماً بعد يوم. وأما "دايه" فتعرف ما يجرى فى نفس "ويس" فأخذت تتحدث عن حبّ "رامين" لها بجرارة ساخنة وعن اغتنامها للفرصة طول عمرها والانتفاع بالملذات فى أيام الشباب والحياة بكياسة خاصة، بحيث لم تبال "ويس" بالخزى وسوء السمعة وأغمضت عينها على كلّ شىء سوى "رامين"، لأنه الرجل الوحيد الذى استحسنته وأرادته لنفسها لتعيش معه عيشة غرامية، وإن جاء ذلك متأخراً، ولكنها خضعت له بكامل وجودها تقول:

مرا رامين به مهر اندر چنان بست كه نتوانم زبندش جاودان رست

- كبلنى "رامين" بقيد محبته بحيث لا يمكننى الخلاص منه.

فيلبغ عشقها لـ"رامين" مبلغاً يمنعها من التفكير فى الخزى وسوء السمعة والموت وعذاب الآخرة.

ولـ"ويس" روح متمردة تتور على المجتمع الذى يسود عليه الرجال فلا يمكن لحوادث الدهر أن تجعلها منفعة ومطبعة، بل إنها تقاوم بعزم وتأخذ حقها من الدنيا والمجتمع، لأن المجتمع قد حرّمها من كل شيء وحتى من حقها الطبيعي وهو اختيار زوج تحبه، وبدلاً من ذلك قرّر المجتمع لها مصيراً محتوماً فى الحياة ولكن "ويس" هدمت بعزائمها الراسخة وقدراتها الأنثوية أساس هذا الحرمان، أى عدم حرية الرأى واختيار العمل، ووقفت أمام المجتمع الذى يسيطر عليه الرجال وقلّبت العلاقات الاجتماعية والثقافية السائدة. إنها ضحّت بسمعتها فى سبيل حرّيتها وقامت بتغيير المصير المحتوم الذى قرّره الآخرون لها. «ويس امرأة مخلصّة تريد العيش والانتفاع من عمرها، ولكن أخلاقياتها الساخنة تمنعها أن تخضع للحوادث، لأن حبّها للحرية وحق الاختيار ظهر فى وجودها من أوان الطفولة، فهى ذات عزم مستقل من ذلك الأوان، وقد بدا ذلك فى اختلافها مع "دايه" فى اختيار ثوب لها:

همى نيسندد اكنون آنچه ما راست وگرچه گونه گونه خزوديباست.»

(إسلامى ندوشن، ١٣٧٠ش: ٩٥)

- لا يعجبها ما يعجبنا من الثياب وإن تكن من أنواع الخرز والديباج.
 "ويس" ابنة الملك، إنها عفيفة ذات حياء ولكنّها تبحث عن الملذات مراعية جانب العفاف والتقوى، وإنها ليست امرأة تتخذ مواقف انفعالية أمام كوارث الدهر وضحي بنفسها استجابة لمطالب الآخرين، بل إنها تلحّ فى مطالبها الغراميه وتدافع عن حقها ولا تخاف من أى شيء، ولكن هناك صراع فى نفسها بين القوتين المتضادتين وهما قوّة العشق والغرور.
 يتجلّى حبّها تجاه حبّ "رامين" كما يتجلّى غرورها تجاه جفاء "رامين"، لأنّها لا تزال تعرف فن الغرام أكثر مما يعرفه "رامين". إنها تعاني وتبتهج معاً ولكنّها تربي نفسها على حبّ "رامين" فعاشت مائة سنة مع هذا الحبّ.

دراسة شخصية "منيجه" فى منظومة "بيجن ومنيجه"

اسم "منيجه" صورة مؤنثة معدولة عن أصله البارتي وهو "مانك". إنّها بنت أفراسياب الجميلة، ملك توران، وذكّرت بأسماء وصفات مختلفة منها: الشمس، جميلة

الوجة، صنم الجثة، حسناء "سمير"، البنت الجميلة، وردة الحدّ وما إلى ذلك. إنها امرأة مضحية وشجاعة في الحبّ. وهذه الشجاعة إن لم تكن أكثر من شجاعة "تهمينه" فليست بأقلّ منها؛ إنها واجهت "بيجن" في ساحة المهرجانات وعشقتة في اللقاء الأول، ثمّ أرسلت "دايه" إليه للتعرف على هويته.

فرستاد دايه را چون نوند كه روزير آن شاخ سرو بلند

- أرسلت إليه "دايه" مسرعة وقالت: اذهبي تحت غصن ذاك السرو الباسق. أرى حاولي أن تتعرفي عليه بأحسن صورة وفي أسرع الوقت.

إنها دعت "بيجن" إلى خيمتها فعشقتها "بيجن" لحظة رؤيتها، فاشتغلا بالمغازلة، وبعد أن مضت عليهما ثلاثة أيام، قصد "بيجن" العودة إلى إيران، ولكنها لم تكن تطيق البعد عنه، فسكبت المعجون المفقّد للوعى في خمرته، ثم نقلته إلى قصرها وهو نائم.

بفرمود تا داروى هوش بر پرستنده آميخت با نوش بر

بدادند مر بيژن گيو را مر آن نيكدل نامور نيورا

- أمرت خادمتها أن تصبّ المعجون المفقّد للوعى في خمرته.

- فمن تلك الخمرة سقيا "بيجن" البطل، ذلك الرجل الطيب الشجاع الشهير.

كانت "منيجه" شجاعة في ميدان الحبّ جدًّا، وهذه الشجاعة ناتجة عن بصيرتها «لأنها حُرِّمَت من جميع الامتيازات الملكية بعد اطلاع أفراسياب على حضور "بيجن" فى قصر "منيجه" والقبض عليه وإلقائه فى السجن، ولكنها كامرأة مسكينة ولكن عاشقة كانت تطوف حول بئر حبس فيها عشيقها ولأجل أن لا يموت كانت توفر له طعاماً من هنا وهناك وتصبّه فى داخل البئر من خلال الحفرة الموجودة على جدار الحجره، وقد واجهت خشونة أخرى عند التقائها بـ"رستم"، الذى كان يقصد إنقاذ بيجن من السجن، ولكنها تحمّلت كلّ ما واجهته فى تلك الأيام.» (حائرى، ١٣٨٣: ١٠١) فبثت شكواها من أيامها خائبة وقانطة:

به رستم نغه كرد و ناليد زار زخوارى بياريد خون بر كنار

- إنها نظرت إلى "رستم" وأنت أنينا ونحبت نحيبا، وذرفت دما من عينيها لأجل ما

نالها من هوان .

فاعتذر رستم إليها بعد أن سمع قصة حياتها الأليمة، واستعطفها وأشفق عليها، وفي النهاية تغلّبت "منيجه" على جميع المصاعب بالشحنة الحرارية التي كانت تنبثق من حبها الساخن لـ "بيجن" بحيث قرّرت لها مصيراً زاهراً في الحياة؛ «إنها أعرضت عن حياتها الراغدة في قصر أبيها وأغمضت عينيها على الحقد الدفين القائم بين إيران و توران فشغفت بحبّ "بيجن" وخلقت أجمل أسوة نسائية للتضحية في جميع عصور البطولة.» (غفوري، ١٣٨٨ش: ٢١١)

إنّ "منيجه" فضلاً عن بصيرتها وعزمها، امرأة صادقة ومخلصة في الحبّ والتضحية، ومع هذا كلّها إنها حسّاسة جداً وسريعة التأثر، بحيث تجرح عواطفها بكل كلام جافّ يخرج من لسان "بيجن". «خالقي مطلق، ١٣٧٩ش: ٢٩٨» «إنها أعرضت عن حياتها الراغدة والمنعمة في بلاط الأب متحملةً جميع المآزق والمصاعب التي نتجت عن هذا العشق المحظور، ولكنّها في عملية نشيطة، ومع الإعراض عن القدرة والنعمة حاولت إحياء الحب والحبيب ولو كان بالكديّة:

چو از كوه خورشيد سر بزدي منيزه زهر درهمي نان چدي
به بيژن سپردى و بگريستى برآن شو بختى همى زيستى.»

(حميديان، ١٣٧٢ش: ٢١٤)

- بمجرد طلوع الشمس من وراء الجبال كانت "منيجه" تشتري الخبز بكل درهم اكتسبته.

- كانت تعطيه لـ "بيجن" وتبكي على شقاوة جدّها.

«إنها وقيّة ومعترفة بالجميل ومحبة للزوج وثابتة الجنان مستقيمة، ولكنّها لا تراعى جانب الحرام في الحبّ وكسب الملذّات مع أنها لا تتجاوز إطار الأدب، وبما أنها ليست حازمة في أمرها وقعت في حبّ بيجن.» (دبير سياقى، ١٣٦٥ش: ٦٥)

إنّ "بيجن" بطل إيراني ومن أسرة "گودرزيان" ولا بدّ هنا أن نتعرف على مقدار الكراهة والخوف الموجود بين إيران و توران بسبب الخلافات المتعددة القائمة بينهما آنذاك؛ والحالة هذه وقعت "منيجه" في حبّ "بيجن"، و"منيجه"، على حسب قولها، هي التي لم تلمس الشمس وجهها، وإنها ترعرعت في النعمة والرغدة، ولكنّها لا تتعلق

بالدنيا، بل تركت حياتها بصورة كاملة، ووقعت في ورطة الهلاك والتسوّل دون أن تنسى "بيجن"، البطل الإيرنى الشهير.

رافقت "منيجه" "بيجن" بحبّها الخالص وبقلبها المحروق في جميع المراحل، لأنها كانت مستقلة وثابتة الأقدام في قراراتها وتصرفاتها. وقبل أن يُحكّم على جسارتها في الحب حكماً يثير إساءة الظن فيها أثار حبّها الشديد وصبرها الجميل تجاه المتاعب إعجاب الجميع لأنها أدبرت على أعداء إيران وأقبلت على أرض إيران وأعرضت عن الأقدار السائدة على أرض أبيها وتحركت نحو العلى رغم تلك الجسارة الهائلة في الحبّ. ولا شك أنها امرأة شجاعة جدّاً في الحبّ والغرام ومرافقة الحبيب، كما أنها امرأة لها حرّيّتها وقدرة اختيارها وأنها ثابتة الأقدام والمثابرة في التفكير والعمل كما كانت سخية وصبورة، ولها مشاعر لطيفة وظريفة جدّاً ومعنويات رفيعة.

وقصة حياة "منيجه" النشيطة هي قصة الحبّ وقصة الحرّيّة والاختيار، بل إنها حكاية من مجموعة الحكايات الغرامية الخالصة التي حدثت في ساحة التاريخ الرحبية، والتي نعت من ينابيع قلوب العاشقين وجرت على مدى التاريخ.

«لقيت "منيجه" قبولاً في المجتمع الإيراني وفي الثقافة الإيرانية، بسمتها امرأة مولعة بالحبّ والغرام ومتصفة بحميّة الشباب و متميزة بالإخلاص والوفاء لحبيبها الشهير، وبدورها الفعّال وشخصيتها المستقلة ومكانتها العالية.» (مهذب، ١٣٧٤ ش: ١١٥) «إنها امرأة حرّة تفرّق بين إيران وتوران وبين القصر والكوخ بشرط أن يقف "بيجن"، عشيقها المحبوب، بجانبها، وأمانيتها الأساسية في الحياة تكمن في وجود "بيجن" أو عدم وجوده وفي التعايش معه أو بدونه.» (وداد، ١٣٨٨ ش: ٢٤)

المقارنة بين شخصية "ويس" و"منيجه"

«"ويس" و"منيجه" كلاهما من أشرف قومهما وترعرعتا في بيت الشرف وعاشتا متعمنتين في عصرهما، ومن الناحية الاجتماعية لا نجد فرقاً كبيراً بينهما وبين محبوبيهما، أى "رامين" و"بيجن".» (بيرى، ١٣٨٥ ش: ٥٧) بل هناك قواسم مشتركة بين "ويس" و"منيجه"، منها: الجسارة، والمحبة، والإرادة، والبصيرة، والغرور، وسرعة التأثر،

والتضحية، والوفاء، وإضافة إلى ذلك نجد ميزة أخرى في "ويس" بأقوى صورتها، وهي "الحسد"، الميزة التي لانجدها في "منيجه" لعدم وجود منافسة غرامية أخرى في حياتها. «(خالقى مطلق، ١٣٧٩ش: ٢٩٦)

إنهما جسورتان في الحبّ ولكن جسارتهما ليست ناتجة عن الهوس؛ والدليل على ذلك أنّ "بيجن" عندما سُجِنَ في البئر لم تتركه "منيجه" وحيداً، وهي أميرة، بل وهبته روحها وأعطته أموالها وتخلّت عن أسرتها وأقبلت على الكدية حباً له؛ ولو كان حبّها ناتجاً عن الهوى لتركته على حاله، واعتنت بحياتها بكلّ حماس، إلا أنّ جسارتها كانت مبنية على الحبّ والبصيرة فلزمت حبّها واعية. ومثل "منيجه" كانت "ويس"، حيث رأت لنفسها الحق في أن تخون الملك "موبد" الذي اختطفها وحبسها في بيته، وتعشق "رامين". ويبدو أن عملها هذا ناتج عن بصيرتها بالحبّ ووعيها له، فهي إن كانت أهل الهوى والزيف في الحبّ ما التزمت رجلاً واحداً وما قامت بالتضحية والفداء.

وأما جسارة "ويس" وعزمها ووعيها أكثر من أن يحتاج إلى إيضاح، ورغم أنها كانت في بداية أمرها مترددة في حبّها لـ"رامين"، ولكنّها لم تكن نادمة على خيانتها لـ"موبد" قطّ؛ ويقدر ما أبدت من التضحية والإخلاص في حبّها لـ"رامين" أبدت كراتها لـ"موبد" ودافعت عن خيانتها؛ وهذا الأمر يدلّ على شجاعتها وبصيرتها في حبّها لـ"رامين"، بحيث لم يغيّر جفاء رامين لها من حبّها له أدنى تغيير. «(خالقى مطلق، ١٣٧٩ش: ٢٩٩)

ويبدو أنّ "ويس" في حبّها لـ"رامين" كانت أكثر وفاء من "منيجه" في حبّها لـ"بيجن"، والدليل على ذلك أنّ "ويس" و"رامين" كلاهما أميران إيرانيان، ولهما شأن واحد ومنزلة واحدة ولافضل لأحد على الآخر؛ ومع هذا كلّه كانت "ويس" وفية جداً في حبّها لـ"رامين" دون أن يكون له أى تفوّق عنصرى عليها. فلم تكن "ويس" تحصل على أية مفخرة من زواجها بـ"رامين"، وهذا هو معنى الحبّ الخالص عندها.

وأما الأمر فيختلف عند "بيجن" و"منيجه"، لأنّ "بيجن" كان بطلاً إيرانياً شهيراً و"منيجه" أميرة توارنية، وقديماً كان هناك تفوّق ملحوظ للجنسية الإيرانية على سائر الجنسيات؛ فبناء على هذا كان في زواج "بيجن" من "منيجه" مفخرة لها، ومدعاة لجلب المحبة والعشق والوفاء، وهذا هو السبب الذي جعل "منيجه" أن تكون زوجة وفية

مخلصة، ودليل آخر على وفائها لـ"بيجن" هو عدم وجود منافسة غرامية أخرى تنافسها في الحب، فوفت بعهدتها لزوجها وهي مطمئنة البال.

وأما "ويس" رغم أن "كل"، ابنة "رفيدا" تنافسها في حبها وگرامها إلا أنها كانت ملتزمة بـ"رامين"، تفديه بروحها وتضحى بنفسها من أجله مع علمها بوجود ضررتها؛ إنها تعيش على حب "رامين"، تنتظر عودته وتدعوه إلى نفسها بعشقها الصادق، فتتضرع إليه حتى يعود. إنها أثبتت وفاءها في حبها الساخن لعشيقها، فخلدت اسمها في قائمة العشاق.

ومن خصائص "ويس" التي رفعت من شأنها أصالتها وذياع صيتها، فهي مشهورة عند الكل، كما هي مشهورة عند "موبد" و"رامين" ولا تحتاج إلى أيّ التعريف. ولكن الأمر يختلف تماماً في الحديث عن "بيجن" و"منيجه"، لأنّ "بيجن" لم يكن يعرف "منيجه" قبل لقاؤهما فاضطرت بتعريف نفسها له معتمدة في ذلك على شهرة أبيها، أفراسياب. وكذلك تتميز "ويس" على "منيجه"، ابنة أفراسياب، ملك توران، بأنّ نسب أمها يعود إلى "جمشيد"، ملك إيران الأسطوري.

المقارنة بين المنظومتين من منظور النسوية

تشير دراسة مكانة المرأة في هاتين المنظومتين إلى أنّ للمرأة في منظومة "بيجن" و"منيجه" دوراً أكثر في حرية التفكير واتخاذ القرارات والقدرة على إنجاز المهامّ بالنسبة لمنظومة "ويس ورامين" بحيث يمكن لـ"منيجه" أن تختار مصيرها بيدها وأن تجرب الحياة كما تحبها. ومن هذا المنطلق، فإنّ مجرد أن تكون المرأة قادرة وبكلّ حرّية على الحضور في المهرجانات بمفردها، وأن تحبّ شاباً غير معروف وأن تكون علاقات ودّية معه، دليل على وجود نوع من الحرّية في المجتمع متناسبة مع ثقافة تلك العصور، ففي منظومة "ويس ورامين" تتضح مثل هذه العلاقات بحيث يلتقى موبد بـ"شهو" في ساحة المهرجانات ويخطبها، ولكن "ويس" تفتقد مثل هذه الحرّية، وتواجه قيودات شديدة ومصيراً محتوماً فُرِضَ عليها.

فالحرّية التي نالتها "ويس" في عملها لا تدلّ على أنّ المجتمع قد منحها هذه الحرّية،

بل إنها ناتجة عن تمردها على العلاقات السائدة في المجتمع. وهذا هو الفرق الذي نراه في مكانة المرأة في منظمتي "ويس ورامين" و"بيجن ومينجه".

والأمر الملموس في هاتين المنظومتين هو الانتقال من المجتمع الذي تسود عليه النساء إلى المجتمع الذي يسيطر عليه الرجال. وبدراسة شخصية "شهره"، أم "ويس"، ومكانتها نلتقى بمجتمع محوره المرأة والأم، ومكانة المرأة أفضل من مكانة الرجل، وكان الأولاد يرثون الأمهات، وللاّم دور بارز في زواج الأولاد وتقرير مصيرهم. ولكن عندما تقوم بدراسة شخصية "ويس" ومكانتها في القصة نواجه مجتمعا يسيطر عليه الرجال وهذا يدل على انتقال المجتمع من تحكّم النساء إلى تحكّم الرجال؛ وكذلك تجلّت مثل هذه الظاهرة في قصة "بيجن ومينجه" وأنها على حسب العلاقات السائدة على المجتمع الذي تسيطر عليه النساء، فلـ"مينجه" الحق في اختيار الزوج وتقرير مصيرها، ولكنها من جانب آخر وعلى حسب القواعد السائدة على المجتمع الذي يسيطر عليه الرجال حرمت من الحياة الملكية والنعمات الموجودة في البلاط، وطُردت من القصر وتشرّدت في الأحياء والأزقة. وهذه الظاهرة أيضاً تدلّ على الانتقال من المجتمع الذي تتحكّم به النساء إلى مجتمع يتحكّم به لرجال.

تشابه هاتان القصّتان في الأصول الثقافية والنُظم والعلاقات السائدة على المجتمع، لأنّ جذور هاتين القصّتين تعود إلى العهد الأشكاني والبارتي المتشابهين.

«منظومة "ويس ورامين" قصة أدبية واقعية، مكوّناًتها من الطبيعة، تخلو من أي تكلف، فريدة من نوعها، لا مثيل لها إلا في "الشاهنامه"؛ ويبدو أنّ الذين بادروا إلى خلق قصّة "ويس ورامين" كانوا يعنون تماماً بأنّ الإنسان مخلوق نسيجه من الخير والشر، فلم يسعوا إلى إخفاء جانب الشر من وجوده.» (إسلامي ندوشن، ١٣٧٠ش: ٢١٩)

ومن مظاهر النسويّة في هاتين القصّتين هو سعي المرأة لامتلاك زمام المبادرة في قضية الزواج، فاستطاعت بكفاحها أن تظهر حبّها وتختار زوجها.

«كان "بيجن" يميل إلى زيارة "مينجه" بعدما سمع من جمال أوصافها، وكانت "منيجه" أيضاً تنظر إليه من طرف خفي وهي في خيمتها، فافتنتت بحمالة قبل أن يزورها، فأرسلت إليه "دايه" لتفوز بحبه.» (موسوي، ١٣٧٥ش: المقدمة)

وفي قصة "ويس ورامين" حيث الأعراف السائدة ضدّ المرأة نرى "ويس" تكافح في

سبيل اختيار مصيرها بنفسها وتقض ما فرضه المجتمع عليها. تشكلت القصتان في منظومتى "ويس ورامين" و"بيجن ومنيجه" في مجتمع أشرافى مطلق العنان، ولم تكن النساء فيه خاضعات للقيود، بل يسعين بإقامة الحفلات والمهرجانات، ويتمتعن بالبهجة والسرور والموسيقى والملذات. وكانت المجالس بدورها تمهد السبيل للتواصل بين النساء والرجال، بحيث كانت لهن علاقات غرامية بالرجال الأجانب، كما هو مقرر في قصة "بيجن ومنيجه" عند لقائهما الأول وكما هو بين في علاقات "موبد" و"شهو" في قصة "ويس ورامين".

و«ليست أوجه الشبه الموجودة في المنظومتين بسبب تشابه الأشخاص فحسب، بل هناك مشابهة عريقة في التفكير السائد على تلك القصص التي كانت ناتجة عن مجتمع واحد وفي فترة واحدة. ولا شك فيه أن قصة "بيجن ومنيجه" الغرامية في صورتها الأصلية أقرب إلى قصة «ويس ورامين» من هذه الصورة الموجودة، ولكنها بعد دخولها في القصص الملحمية فقدت كثيراً من عناصرها الغرامية وغير الملحمية كي تكون متطابقة مع القصص الملحمية.» (خالقى مطلق، ١٣٧٩ش: ٢٠٦)

وبناء على هذا، فالمضامين الداخلية والخارجية الموجودة في "الشاهنامه" هي نفس المضامين الموجودة في قصة "ويس ورامين"، والأوضاع المنعكسة في المنظومتين تتعلق بفترة زمنية واحدة، والفارق الوحيد هو أن «الشاهنامه» يعرفنا بالأوضاع الخارجية عن الحياة الإيرانية في حالة تكثر في قصة "ويس ورامين" العناصر الغنائية والشعرية وتلعب النساء فيها الدور الأساسى.» (مقربى، ١٣٧٥ش: ١٦٦)

النتيجة

لعبت المرأة في إيران دورها البارز بأحسن صورة، وما تزال، فدافعت عن مكانتها الاجتماعية والسياسية والعاطفية، وقامت بمطالبة حقوقها الأساسية؛ وفي الفترة التي فقدت فيها قدرتها على التأثير وضعفت مكانتها و تزلزلت مصداقيتها واصلت نشاطاتها في مجالات مختلفة بحيث خلفت لنفسها سمعة حسنة وقيدت اسمها في صفحات التاريخ. قام هذا المقال بدراسة منظومتى "ويس ورامين" لفخرالدين أسعد الجرجاني و"بيجن

ومنيجه" للفردوسى بالاعتماد على المعلومات المتوفرة فيهما، واستعرض شخصية "ويس" و"منيجه" الحقيقية كنموذج مثالي للمرأة في أدبنا الفارسي، كما تمت المقارنة بين المنظومتين من منظور النسوية.

تكن هؤلاء النساء من هدم صرح الحرمان، وهو فقدان الحرية في التفكير والعمل، بغزائمهن الراسخة ووطاقتهن الكامنة، وقاومن النظم والطقوس السائدة في مجتمع يتحكم فيه الرجال، فقممن بتغيير مصيرهن المحتوم بمعاوضة من الحب الصادق.

المصادر والمراجع

- إسلامي ندوشن، محمد علي. ۱۳۷۰ ش. جام جهان بين. لامك: مطبعة جامي.
پیری، موسی. ۱۳۸۵ش. ساختار شناسی مقایسه‌ای. لامك: مطبعة تفتان.
حائری، جمال الدين. ۱۳۸۳ش. زنان شاهنامه. لامك: مطبعة پیوند نو.
حمیدیان، سعید. ۱۳۷۲ش. درآمدی بر اندیشه و هنر فردوسی. لامك: مطبعة مركز.
خاتون آبادی؛ افسانه. ۱۳۷۶ش. «چهره و منش زن در منظومه ويس و رامین». مجلة چيستنا. رقم ۱۳۸ و ۱۳۹.
خالقی مطلق، جلال. ۱۳۷۹ش. بیژن و منیژه و ويس و رامین. مؤذن جامی، محمد مهدی، أدب پهلوانی. لامك: مطبعة قطره.
دیر سیاقی، محمد. ۱۳۶۵ ش. «چهره زن در شاهنامه»؛ حریری، ناصر فردوسی؛ زن و تراژدی. لامك: مطبعة بابل.
غفوری، فاطمة. ۱۳۸۸ش. شاهنامه از دیدگاه داستان شناسی. لامك: مطبعة مطهری.
محبوب، محمد جعفر. ۱۳۷۷ش. ويس و رامین. لامك: مطبعة نشر اندیشه.
مزدایور، کتایون. ۱۳۸۲ ش. گناه ويس. لامك: مطبعة أساطیر.
مقربى، مصطفى. ۱۳۷۵ ش. هزده گفتار "مجموعه المقالات". لامك: مطبعة توس.
موسوی، مصطفى. ۱۳۷۵ ش. بیژن و منیژه. طهران: مطبعة توس.
مهدب، زهرا. ۱۳۷۴ ش. داستان‌های زنان شاهنامه. لامك: مطبعة قیلة.
وداد، فرهاد. ۱۳۸۸ش. رازگونه‌های داستان بیژن و منیژه در شاهنامه. لامك: لانا.